

نَحْنُ فِي حَرْبٍ مَعَ الْفَقْرِ وَالْمَرَضِ وَالْجُوعِ

ينفر بعضنا من القيود القليلة التي تحاول الحكومة أخذنا بها في هذه الأيام المضطربة ، سواء أكانت قيودا مالية أم قانونية ، ويحتج هذا البعض على هذه القيود النافذة بأننا لسنا في حالة حرب ، وأن الأمم إنما لجأت إلى بعض الضرائب الاستثنائية وبعض القيود القانونية في الاستهلاك وسواه لأنها تواجه حالة حرب نحن منها ناجون والحمد لله ! .

والواقع أننا في حالة حرب فعلية ، ولكن مع أعداء أشد فتكا من المغيرين ؛ وأمام أدوات لتدمير أقطارنا من الطائرات والقنابل والمدفعية ونفازات وكل ما عرف من أدوات القتال البرية والبحرية والجوية حتى الآن .

نحن في حرب حقيقية مع الفقر والمرض والجهل والانحلال الخلقي والتفكك الاجتماعي وحفنة أخرى من الأدواء والعلل الجسمية والعقلية والخلقية ، تنبع من الفقر والمرض والجهل ونحن في حاجة إلى تعبئة جميع مواردها وجهودنا وتفكيرنا لمقاومة هذه الأعداء ، ولإعلان حالة الطوارئ الدائمة حتى نغف أمام وسائلها الفتاكة بعض الوقوف .

وهو يستطيع أي جيش مغير أن يصنع بنا ما يصنع جيش الفقر الأسود الكالح الذي نعانیه بوصفاً عامة في ثروة القومية ، وبوصفنا أفراداً في ثروة الشخصية .

١- مجموع اديون التي للأجانب على المعمرين تكاد تستغرق نصف قيمة الثروة العقارية ، ثم إن متوسط الدخل الفردي لا يرتفع على عشرة جنيهات في العام ؛ وهذا يصور الفقر القومي الذي نزرع حخته ونحن نوهم أنفسنا بأن مصر غنية متبعين في ذلك نخوافة قديمة لاتصبر على الحساب وتكذبها الأثرة كل التكذيب .

أما أفقر الشخصي فهو أشد كثيراً من الفقر القومي ؛ لأن المتوسط لا يمثل الحقيقة لفرديّة . ذلك أن سبعة في المائة من السكان يملكون ٨٠ في المائة من مجموع الثروات ؛ و ٩٣ في المائة من السكان يملكون ٢٠ في المائة منها . ومعنى هذا أن هؤلاء الثلاثة والتسعين يهبط دخلهم إلى ربع المتوسط العام أي إلى ثلاثة جنيهات في العام ، أي خمسة وعشرين قرشاً في الشهر .

وهل ده إخاله لاتستحق أن نعد أنفسنا في حالة حرب مع الفقر القومي والفردي ، ولاتدعونا إلى إعلان حالة الطوارئ ولو لمدة عشرين عاماً نوجه فيها كل مجهوداتنا وأفكارنا الشخصية ولعمرة الأهلية والحكومية ؛ لمقاومة هذا العدو المقيم داخل الجدران حتى نزرحه قليلاً على الاعتبار ؟

ألا نوفر كل مجهوداتنا لتوفير القوة المحركة في البلاد لتنمو الصناعة وتنتشر ، وللتجديد في وسائل الزراعة وتصريف محصولات لزيادة الدخل العام ؟ ثم ألا نوفر كل مجهوداتنا وتضحياتنا للتخفيف قليلا عن كاهل الثلاثة والتسعين المتقلين بالأعباء ليتنفسوا قليلا ويحيوا وينتجوا ويستهلكوا فيساعدوا على الرخاء العام .

وهذه الحالة الشاذة ألا تعد حالة حرب تقتضى بعض الضرائب الاستثنائية على فريق الزايمين لتوفير المرونة الكافية للايزانية ، ولعانة الفريق الأعظم من السكان بالتخفيف عنهم بعض التخفيف ، وهل تستطيع أية حرب أن تواجهها بأفدح مما تواجهنا به هذه الحال ؟ وهل يستطيع أى جيش مغير أن يفتك بنا كما يفتك جيش المرض المختلف الأنواع والأشكال والذي يخص الفرد الواحد منه ثلاثة أنواع مختلفات .

إن عدد المصابين بالرمد الحبيبي نحو ٩٠ ٪ من السكان وعدد المصابين بالبلهارسيا نحو ٧٥ ٪ وبالأكلستوما نحو ٥٠ ٪ وإن نسبة الوفيات العامة هي ٢٧ في الألف تقريبا أما في الأطفال فنحو ٢٠ ٪ أى الخمس في كل عام .

ولم يحدث في أية حرب عالمية أن بلغت نسبة القتلى هذا الحد ، فنحن في حالة حرب حقيقية أشد هولاً من جميع الحروب التي عاها التاريخ ، ونحن في معركة دائمة مع الفناء الذي يحمصنا حصداً بمنجله الحاد ، ويترك من يتركه ما للرض الذي يمجزه إلى حرد ما عن الإنتاج .

فهل هذه الحالة لا تستحق أن نعد أنفسنا في حالة حرب ، وأن نخشد كل وارادنا وجهودنا ، ونخصص كل تضحياتنا وأعمالنا لمكافحة لمرض والموت ، بمقاومة الفقر أولاً وهو علة الظلم ، وبالعمل على توفير شيء من الغذاء الصالح للطبقات الفقيرة العاملة ، وشيء من وسائل الوقاية والعلاج الصحية بصفة جدية القصد منها العمل الحقيقي لا مجرد الرسميات كما هي الحال في بعض المستشفيات المجانية التي يهرب منها المرضى ويفضلون عليها المرض والموت بعيداً عن عذاب المرضى والمرضات !

والقرية التي تمدنا باليد العاملة والمحصول الوفير . ألا تستحق الإنقاذ وتساؤل التجديد وتوفير الماء الصالح للشرب بمجوار الماء الصالح للرى . ولو اقتضى ذلك منا بعض التضحيات وبعض الضرائب الاستثنائية على التقاديرين ، كما تصنع الأمم في حالة الحرب مع الأعداء المغيرين ؟

وهل يستطيع أى جيش مغير أن يشل قوانا ويعطل إنتاجنا ، كما يفعل معنا جيش الجهل الذي يحاربنا بجرائم الأمية وغازاتها الخائفة ، ويعطل جسم الأمة في القرية عن الحركة كما يريدنا الرأس المفكر المذموم في المدينة ، ويجعل أمرنا عجباً : رأس حى يتحرك ، وجسم ميت لا يطاقوه على الحركة !

إن أظهر مظاهر التعطيل وشل الحركة التي يسببها هذا الجهل أن معظم مشروعات الإصلاح لا يلقى استجابة من السكان ، لأنهم لا يعرفون فائدته ، ومن جهل شيئا طأده كما يقولون في الأمثال ، فالطبيب العلمي لا يجد من يثقون به ، كالطبيب الخراف ، والماء النقي — حين يوجد — قد يتركه الأهليون إلى الماء الكدر بحكم الخرافات والعادة المستحكة ، وكثير من التشريعات يعطل أو يؤجل لأن الحالة العقلية تجعل تنفيذه صعبا أو مستحيلا .

أليس هذا هو الشلل النصفي — بل الكلى — الذي يعوق عن الحركة حين يريدنا الرأس المفكر ، فيذهب التفكير ويذهب النشاط العقلي أدراج الرياح !

فهل هذه الحالة الشاذة لا تستدعي أن نعد أنفسنا في حالة حرب ، وفق ظروف استثنائية شاذة نعي فيها مواردنا المالية وجهودنا الفردية والجماعية لمنازلة الجهل المعشش في الأدمغة وإزالة غشاوة الأمية عن الأبصار ، ولو اقتضى الأمر بعض الضرائب الاستثنائية ؛ الضرائب المالية والفكرية ؛ فعلى كل قادر ضريبة من نوع ما يقدر عليه ، وعلى الدولة أن تجند كلا فيما يستطيعه ، وليس لإنسان أن يتخلف عن التجنيد الإجباري في هذا الميدان .

وهل يستطيع أى جيش مغير أن يضعف قواما ويهبط بمستوانا أكثر مما يضعف ويهبط جيش الانحلال الخلقى والتفكك الاجتماعى الذى نعانى هجماته كل يوم وليلة — بل كل لحظة — على صفوف الأمرة وروابط البيت ، وعلاقات الأفراد واهيئات .

إن روح الفردية والأنانية وعدم المبالاة والاستهتار بالواجبات والحرب من التبعات تفتت بناءنا الاجتماعى ، وتحيدا أفرادا متفرقين لا أمة ذات وجهة واحدة واجتماع وثيق .

وإن الانحطاط الخلقى والانحلال النفسى ، ليهبطان بنا إلى مرتبة دون المرتبة الانسانية بكل تأكيد ، ويجعلان آفاقنا فى الحياة قريبة لا يزيها مثل أعلى ولا هدف مقصود .

وإن الأمرة المصرية لتعانى تفككا لا نظيره بين الجيل الماضى والجيل الحاضر ، نتيجة التمرد والفضلال والفساد وتوزع الأفكار والجهود .

وإن البيت المصرى لينهار بالطلاق والفساد ، ثم لا يبنى غيره من جديد بسبب الإعراض عن الزواج وحياة التبذل والتشرد التى يحياها كثير من شبان وكثير من الشواب .

وإن لطفولة المصرية لتعانى أشد الويلات من التشرد والبؤس والإهمال والفساد الخلقى والفقر والمرض ، وهى بذرة المجتمع المريض فى مستقبل الأجيال .

وإن فساد الذمم وموت الضمائر وروح الاستغلال الوضع ، والمقامرة والمتاجرة بالمناصب والأعمال ، لتفشى فى جميع الأوساط والبيئات وتناثر بالانهيار من الأساس .

فهل هذا كله لا يقتضى أن نعد أنفسنا فى حالة حرب ، وأن نتجمع أمام الخطر ، وتساند فى وجه الكارثة ويبدل كل فرد منا وكل هيئة . لا يستطيع بذله عن طوعية واختيار ،

وإلا أظنت الدولة حالة الطوارئ ودفعت الجميع الى الجهاد وفرضت عليهم التكليف في نظام شبه بالنظام العسكري في كل اتجاه .

نحن في حالة حرب : على هذا يجب أن نوطد قلوبنا ونقنع ضمائرنا . فإمض لفرد أن يشكو مما تفرضه هذه الحرب من تكاليف ، وما تلقيه عليه من واجبات .

وشعورنا بالموقف على هذا النحو خليق أن يوقف ضمائرنا ، ويهتو علينا المشقة التي نؤذيها كضريبة للقعدة على الأداء . ولو استطعنا أن نشعر كل فرد فينا بعبالة الحرب الدائمة التي نمازينا ، وحالة الطوارئ الطويلة التي سقضيها ، لارتفع مستوى إحساسنا ودست الأدمية في أوصالنا وواجهنا الخطر كما يواجهه الأحياء بالتجمع والمقاومة والاستعداد .

إننا نهبط ونهبط كل يوم : في تفكيرنا وفي إحساسنا وفي أخلاقنا وفي علاقاتنا الشخصية والجمية ، وفي روابطنا الفردية والعائلية والحزبية ، لأننا لاستشعر الخطر ولا نحس بالكارثة . والأمن والاطمئنان يحدران الجسم والعقل والنفس في كثير من الأحيان . أما الخطر فينبه القرائز والحواس للدفاع ، وينشط الفكر والروح للكفاح .

فلنتلق صيحة الخطر إذن ، وليدؤ نفير الإنذار .

بيان

تحقيقاً لفرض وزارة الشؤون الاجتماعية من الإرشاد الاجتماعي ونشر الدعوة إلى الإصلاح في أوسع نطاق ، وتمكين كل من يريد مساهمة روح النهضة الاجتماعية من التثقيف الضروري لمساهمة في هذه الحركة المباركة ، فقد رأت الوزارة توزيع هذه المجلة بالمجان ابتداء من هذا العدد لمن توى فيهم المعاونة على تحقيق ذلك الفرض .

وهي ترسل المشتركين كالمعتاد حتى انتهاء اشتراكهم ثم توالى الوزارة إرسالها إلى حضراتهم بعد ذلك بالمجان .